

مجمع الأمثال

3230 - لَوْ تُركَ القَطَا لَيِّلاً لَدَامَ .

نزل عمرو بن مامة على قوم من مُراد فطرقوه ليلاً فأثاروا القَطَا من أماكنها فرأتها امرأته طائفة فنبهت المرأة زوجها فقالت : إنما هي القطا فقالت : لو تُركَ القطا ليلاً لنام .

يضرب لمن حُمِلَ على مكروه من غير إرادته .

وقال المفضل : أول من قال " لو ترك القطا ليلاً لنام " حذام بنت الريان وذلك أن عاطس بن خلاج سار إلى أبيها في حِمَيْرَ وخِثْعَمَ وجُعْفَى وهَمْدَانَ ولقيهم الريان في أربعة عشرة حَيّاً من أحياء اليمن فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم حاجزوا وإن الريّان [ص 175] خرج تحت ليلته وأصحابه هراباً فساروا يَوْمَهُم وليلتهم ثم عسكروا فأصبح عاطس فغدا لقتالهم فإذا الأرض منهم بلاقع فجرد خَيْلَهُ وحثَّ في الطلب فانتهاوا إلى عسكر الريان ليلاً فلما كانوا قريباً منه أثاروا القَطَا فمرت بأصحاب الريان فخرت حذام بنت الريان إلى قومها فقالت : .

ألا يا قَوْمَنا ارتَحِلُوا وَسَيِّرُوا ... فَلَوْ تُركَ القَطَا لَدَامَا .

أي أن القطا لو ترك ما طار هذه الساعة وقد أتاكم القوم فلم يلتفتوا إلى قولها وأخذلّوا إلى المضاجع لما نالهم من التعب فقام دَيْسَمُ بن طارق وقال بصوت عالٍ : .
إِذَا قَالَتْ حَذَامُ فَصَدَّ قُوهَا ... فَإِنَّ القَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامُ .
وثار القوم فلجؤا إلى وادٍ كان قريباً منهم فأنحازوا به حتى أصبحوا وامتنعوا منهم .
قلت : وفي رواية أبي عبيد أن البيت لِلْجَيْمِ بن صَعْبٍ في امرأته حذام وقد ذكرته في باب القاف (انظر المثل 2890 " القول ما قالت حذام ")